

## منهج ابو حنيفة الدينوري في الكتابة التاريخية كتاب (الاخبار الطوال) نموذجاً

~~~~~ غازي الشمري \*



من المعروف ان لدراسة التاريخ و احداثه و العوامل المؤثرة فيه و رجاله ميزة لا يعرفها الا من اشتغل في هذا الضرب من المعارف و العلوم ،و كان للمؤرخين العرب و المسلمين فضل في تدوين احداث الماضي و التعليق عليها و تحليلها و استقراءها و ابراز خفاياها و الحكم لها او عليها .

لذلك لابد من الاهتمام بالكشف عن جهود المؤرخين العرب و المسلمين و تبيان منهجهم في التأليف و اساليبهم في تناول الاحداث التي شهدتها تاريخ الامة العربية و تاريخ الامم المجاورة للعرب .

ويعتبر ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري احد الكتاب الموسوعيين حيث اخذ العلم عن البصريين و الكوفيين .و تتلمذ في اللغة على النحوي الكوفي الشهير ابن السكيت .برز و اشتهر كمؤرخ من خلال كتابه الاخبار الطوال، الا انه الف في اللغة، و الفلك، و الرياضيات. له 20 مؤلفاً منها: (تفسير القرآن الكريم) في 13 مجلداً، و كتاب (الوصايا في احكام الموارث)، و كتاب (الشعر و الشعراء)، و كتاب (ما تلحن به العامة)، و كتاب (اصلاح المنطق)، و (رسالة في الطب)، و كتاب (الجبر و المقابلة)، كتاب (البلدان)، كتاب (الانواء)، و برع في دراسة النبات، حيث وضع كتاباً مشهوراً منشوراً و محققاً من قبل المستشرق السويدي لوين بعنوان كتاب (النبات).

و كانت له مكانة علمية جيدة و يتمتع باحترام كبير، فقد وصفه القفطي<sup>(1)</sup> في كتابه انباه الرواة ،كان متفنناً في علوم كثيرة، ثقة فيما يرويه و يملئه، معروفاً بالصدق. و كتب السيوطي،<sup>(2)</sup> كان الدينوري نحوي لغوي، مع الهندسة و الحساب ،راوية ثقة، ورعاً زاهداً، و كان من نوادر الرجال ممن جمع بين اداب العرب و حكمة الفلاسفة.

و يعد كتاب (الاخبار الطوال) نموذجاً لتاريخ الامم الذي يبدأ من خلق ادم عليه السلام حتى سنة 227هـ/841م، استهدف من خلالها اعطاء خلاصة وافية للتاريخ العالمي، مع التركيز على بعض الاحداث و الوقائع المهمة التي شهدتها العالم الاسلامي.

ان الحاجة الى تفسير ما جاء في القرآن الكريم من اخبار الامم السابقة استدعت دراسة تأريخ الأنبياء وقصص اهل الكتاب والاسرائيليات، وبعض المدونات التاريخية الاخرى، التي تهتم بمبدأ الخليقة و خلق ادم عليه السلام، و تناوب الانبياء، و حضارة الأمم القديمة، والى هذا الضرب من التاريخ ينتسب كتاب ( تاريخ يعقوبي)، و كتاب (المعارف) لابن قتيبة، و كتاب الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، ويمثله كتابا (مروج الذهب) و ( التنبيه والأشرف ) للمسعودي.

\* أستاذ محاضر، قسم التاريخ، جامعة وهران

إن هؤلاء المؤرخين قد مهدوا الطريق أمام المؤرخين اللاحقين، في توسيع أفاق مداركهم، والتحرر من القيود التي فرضت على مناهج الكتابة التاريخية، والمضي الى توسيع موضوعات تأريخهم، وكان ابن الجوزي خير من يمثل ذلك المنهج في كتابه ( المنتظم)، وابن الاثير في كتابه ( الكامل في التاريخ)، وكذلك ابن كثير في كتابه الشهير ( البداية والنهاية)، وابن خلدون في كتابه ( العبر).

و كان الدينوري ابو حنيفة واحدا من اولئك المؤرخين الكبار، الا انه لم يلق العناية التامة من قبل الباحثين بالمستوى الذي يستحقه او يوازي الجهد الذي بذله في كتابه الأخبار الطوال الذي اشتمل على تاريخ العرب و تواريخ الأمم الأخرى مما يسجل له الريادة على غيره من المؤرخين في هذا النهج.

عاش الدينوري في القرن الثالث الهجري -الثامن الميلادي، و خلال حياته عاصر عشرة من الخلفاء العباسيين، ابتداء بالمامون 198-218هـ/813-823م، و انتهاء بالخليفة المعتضد 279-289هـ/892-901م، و قد شهدت هذه الفترة تغيرات و احداث واسعة تركت اثرها -بلا شك- في نفس ابي حنيفة الدينوري.

ان لكل مؤرخ منهجية خاصة واضحة المعالم قبل الشروع بأي بحث وله أسلوب يميزه عن غيره من المؤرخين السالفين او المعاصرين له وذلك من حيث انتقاء المادة التاريخية وطريقة عرض الأخبار والروايات .

وعليه فأن المؤرخ الدينوري الذي تميز بمقدرة أدبية ولغوية فضلاً عن حس تأريخي، واطلاع واسع على مناهج من سبقه في هذا المضمار ، قد اختط لنفسه منهجاً عرض من خلاله مادته التاريخية للأزمة التي اهتم بها.

وبالامكان التعرف على ملامح منهجه في انتقاء الحوادث التاريخية من خلال بعض الأمور التي أولاهها عنايته والتي شغلت حيزاً مهماً من تأريخه، و لعل من ابرزها: الوثائق والرسائل المتبادلة والكتب الرسمية وخطب الخلفاء والامراء ووصاياهم لقادتهم في محاولة لتقويم مادة كتابه<sup>(3)</sup> فاستطاع بذلك أن يحفظ لنا بعض النصوص والوثائق التي قد لانجدها عند غيره من المؤرخين، فعلى سبيل المثال: يورد خطبة العرش التي القاها (هرمزد بن انو شروان). بمناسبة اعتلائه العرش، وقد شغلت الخطبة ثلاث صفحات من كتابه<sup>(4)</sup> في حين أغفلها الطبري، - على الرغم من تفصيله للحوادث - واكتفى بالإشارة الى اعتلاء هرمزد عرش الفرس.

واورد ايضاً نص وصية معاوية بن أبي سفيان عندما أدركته المنية الى ولي عهده يزيد بن معاوية، وقد احتلت الوصية صفحة كاملة من تأريخه<sup>(5)</sup> في حين لم يذكرها اليعقوبي في تأريخه، وكذلك الطبري عند حديثه عن العصر الأموي ويعقب روزنثال<sup>(6)</sup>، على أهمية هذا النوع من الوثائق بقوله: (( نقل المؤرخون باخلاص بعض الوثائق المهمة عن السياسة الداخلية ، كالوثائق التي يعين بموجبها ولي عهد الخليفة أو غيره من كبار الموظفين)).

واهتم كذلك بايراد وثائق مهمة اخرى منها: خطبة الامام علي (كرم الله وجهه) بالكوفة بعد إنتقاله بمركز الخلافة الى العراق، وكذلك وثيقة التحكيم التي وقعت بعد معركة صفين، فقد احتلت صفحتين من تأريخه، وخطبة حفيد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الحسن بن علي، عندما بلغه نبأ استشهاد أبيه، وخطبة عبيد الله بن زياد عندما ولي ولاية الكوفة، وكذلك المراسلات التي كانت بين ( شيرويه بن أبرويز ) وأبيه والتي استحوذت على ثلاث صفحات من كتابه، أو تلك التي تمت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وبين قائده المهلب بن أبي صفرة، والتي أراد منها تحريض المهلب للأسراع بمناجزة الخوارج والازارقة.<sup>(7)</sup>

إن تفرد أبي حنيفة بذكر بعض هذه الوثائق واطالته في ذكر بعضها الآخر خروج على فمجه المتميز بالاختصار والابجاز، الا أن مايسوغ ذلك هو أهمية الحدث بالنسبة له ، وحرصه على ابراز الاحداث والوقائع الحربية التي شهدتها العراق وبلاد المشرق، مما دفعه - على ما يبدو - الى تسمية كتابه بـ ( الأخبار الطوال).

ومن الاحداث التاريخية التي اشار اليها الدينوري وتوسع بها كانت : أخبار ملوك الفرس، وأخبار معركة القادسية ، والجل ، وصفين، وحروب الأمام علي (كرم الله وجهه) ضد الخوارج، وأطال في ذكر ثورة الحسين بن علي ضد حكم يزيد بن معاوية، وحركة الأزارقة، والمختار الثقفي، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الأشعث، وتاريخ الأمين وأخيه المأمون، وحركة بابك الخرمي<sup>(8)</sup>.

وكان الدينوري يستخدم لفظة (( القصة )) من باب التشويق ففي حديثه عن اخبار الفرس قال: ((كانت قصة اولي خوارجهم)) وعند ذكره استشهاد الحسين قال: (( كانت قصة خروج عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام))<sup>(9)</sup>.

يلاحظ ان أبو حنيفة الدينوري حرص على توخي الحذر وإبراز الحقيقة وتجنب ماخالطه الشك في كتابه، الا أنه لم يجر كتابه تماماً من بعض الأخطاء والمغالطات ، كغيره من المؤرخين السالفين أو المعاصرين له الذين أوردوا بعض الخرافات والأساطير في تدوينهم للتاريخ، ومن ذلك أن الدينوري أورد - كما لاحظ ذلك مرغوليو<sup>(10)</sup> - ، نصاً مسجوعاً يعود لوثيقة المعاهدة التي عقدت بين اليمن وربيعة في الجاهلية ، وهي تبدأ بعبارة التوحيد ((بسم الله العلي الأعظم، الماجد المنعم)) وتتضمن: ((الله الأجل الذي ماشاء فعل))<sup>(11)</sup> دون ان يخامره الشك بصحتها من أن اليمنيين كانوا من أهل الشرك ، ويدينون بديانة الوثنية، كما أنها كتبت بلغة عربية فصحي في حين أن أهل اليمن كانوا يتكلمون لغتهم الجنوبية ويدونون بالخط الحميري أو السبئي الذي يعرف بالخط المسند<sup>(12)</sup>.

ومن الامور الأخرى التي تسجل على أبي حنيفة أنه خلط بين الاسكندر المقدوني - القائد الروماني - وبين ذي القرنين (صاحب الخضر) (عليه السلام)<sup>(13)</sup>. الذي قص القرآن الكريم خبره في حكاية ﴿يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ﴾<sup>(14)</sup>.

وقد ذكر أنه ((ملك ثلاثين سنة، جال الأرض منها أربع وعشرون سنة))<sup>(15)</sup> والمعروف ان الاسكندر قد عاش ستاً وثلاثين سنة كما تذكر كتب التاريخ،<sup>(16)</sup> وأنه لم يملك تلك الفترة التي أوردتها الدينوري.

كما أنه لم يكن دقيقاً عندما ذكر أنه في ((زمان جم بلبلت الألسن بيا بل))<sup>(17)</sup>، وهذا ماتنفيه بعض المصادر التي تؤكد ان ذلك كان في زمان (كوش بن حام بن نوح)، وفي عصره كان ابراهيم (عليه السلام) ، اذ بلغ من عتوه وتجبره أن بنى صرحاً بيا بل ليطلع بزعمه على آله ابراهيم (عليه السلام) ، حتى كانت مهاب الريح التي نسفت صرحه ، ومنذ ذلك الحين تلبلت الألسن الى اثنين وسبعين لساناً<sup>(18)</sup>.

الا أن هذه الأخبار التي يشوبها الخلط احيانا لاتقلل من قيمة كتاب (الاخبار الطوال) و لا الكاتب بوصفه مؤرخاً كبيراً و حاذقاً و دقيقاً.

وفي تقويم منهج الدينوري نجد أنه لم يتبع منهجاً واضحاً للموازنة في مادته التاريخية المخصصة للتاريخ القديم و للتاريخ الاسلامي، بل يتعدى الأمر الى الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدها العصر نفسه وضمن بعديه الزماني والمكاني المحددين.

لقد كان يقتضب - أحياناً - بعض الحوادث ويمر بها مروراً سريعاً ، وكان - احياناً- يصفح عنها ولايشير اليها مطلقاً، وأحياناً أخرى نجده يتوقف عند بعض الأحداث ويفصل القول فيها، وهذا - في تقديري - منهج مضطرب قياساً الى منهج المعاصرين، وربما يعود ذلك الى قلة المادة التاريخية المروية أو المدونة في الفترة التي عاش فيها، فلم يذكر - على سبيل المثال - من أيام العرب في الجاهلية سوى يوم خزازي، في اثناء حديثه عن ملوك اليمن.

ولم يتناول الشعراء العرب وأصحاب المعلقات سوى إمري القيس، الذي ورد ضمن حديثه عن الحارث بن عمرو الكندي<sup>(19)</sup>، وكذلك الحال فيما يتعلق بالشعر الجاهلي أو الأدب والفنون قبل الاسلام، وربما يعود ذلك الى تشكيكه

بصحتها، ولا سيما أن العرب في العصر الجاهلي لم تكن لديهم سجلات مكتوبة، بل كان الشعر ديوان العرب يحفظون فيه عاداتهم وتقاليدهم وخصالهم والتفاخر بانسابهم، ويخلدون فيها وقائعهم وأجسادهم القبلية ومثالب خصومهم، وهذه الروايات كانت تتداول شفهاً من جيل لآخر، وكانت العادة أن يتخلل هذه الروايات والوقائع عدد من الأبيات الشعرية التي يؤكد صحتها ويضمن ((شيوخ الرواية وتناقلها))<sup>(20)</sup>، وعلى الرغم من ذلك فإن أغلب الروايات كانت مصبوغةً بصيغة التحيز والعصبية وبالخيال الواسع وتفتقر إلى عامل الزمن.<sup>(21)</sup>

ولم تحظ قصص الانبياء و تاريخ الرسل في كتابه سوى بملاحظات عامة عابرة، ولم يعط ذلك أهمية، حيث لم تتجاوز في أغلب الأحيان بضعة أسطر يبدأ الحديث عن اولاد ادم عليه و على نبينا السلام، ثم يذكر الانبياء الى اسماعيل عليه السلام بشكل موجز، مثال ذلك قصة نوح (عليه السلام) حيث أجمل الحديث عنها بأربعة أسطر<sup>(22)</sup> بينما تناولها اليعقوبي، بثلاث صفحات، وذكرها الطبري، في خمس عشرة صفحة، وينطبق القول نفسه على قصة ابراهيم (عليه السلام)، حيث اختصر الحديث فيها بسبعة أسطر، في حين تحدث عنها الطبري، باثنتين وستين صفحة وأشار إليها المسعودي، بصفحتين وذكرها ابن الأثير ، في خمس عشرة صفحة، وربما يرجع ذلك الى محاولة الدينوري في الابتعاد عن الأخذ بالأسرائيليات والكتب المقدسة التي حرفت بما (( وقع فيه خبط و خلط، وكذب و وضع و تحريف و تبديل ))<sup>(23)</sup>، لذلك غالباً ما نجده يكتفي بالإشارة ثم يذيل عليها بقول: ((كما قصه الله تبارك وتعالى في كتابه))، ((كما نص في كتابه وهو أصدق الحديث))، ((فكان منهم ماحكاه الله في كتابه))، ((فكان من امره و اكرام الله بتكليمه و رسالته ما قد قصه علينا في كتابه))، ((كما ذكر الله جل ثناؤه في الكتاب الناطق))، ((قص الله جل ثناؤه قصتها))، ((اخبر الله به في كتابه))، ((ذكرهم الله عز اسمه في القرآن))، ((ذكرها الله تعالى في كتابه))<sup>(24)</sup>.

و كذلك كان الامر بالنسبة لفترة الرسالة، وبعثة رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم، حيث أجمل القول فيها ببضعة أسطر<sup>(25)</sup> اشارة الى مولده صلى الله عليه و اله و سلم و بعثته و عدد سنوات لبثه في مكة المكرمة و المدينة المنورة ثم وفاته، ويبدو أن سبب ذلك يعود الى استقرار الخطوط الأساسية للسيرة النبوية، واستكمال دراستها ، وتوضيح المعلومات المتعلقة بها ، نتيجة للعناية الملحوظة التي حظيت بها من قبل كتاب السيرة والمغازي.

وعليه ربما أراد الدينوري ان يعرض في كتابه لمواضيع غير مطروقة تتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لم تلق العناية والاهتمام بالشكل الذي حظيت به السيرة النبوية.

ومن جهة أخرى - يبدو لي - ان الدينوري لم يكن محدثاً او فقيهاً لينصرف الى دراسة المغازي، ويظهر ذلك من خلال استخدامه منهج الكتابة المرسلة في سرده للمرويات التاريخية، ذلك المنهج الذي يتميز بخلوه من الأسناد، حيث يسرد المعلومات في اسلوب قصصي متماسك و عبارة واضحة، و عند بداية كل موضوع جديد يستعمل كلمة قال اهل العلم، او قالوا ، وفي ذلك يقول جب<sup>(26)</sup>: ((ويفسر لنا ارتباط المغازي بالحديث ، هذا الارتباط الذي ترك طابعاً لايمحى في المنهج التاريخي، باستخدام هذا المنهج للأسناد)).

اما أخبار حركات الردة فلم تكن موضوعاً للبحث عنده وكانت معلوماته عنها هزيلة، اذ أعطاها حجماً صغيراً في كتابه<sup>(27)</sup> ولعل هذا يعود الى أن الدينوري أراد أن يبين تاريخه على الحوادث التي طالت ازمائها وبعدت نتائجها، ويتضح ذلك في المنهج الذي سار عليه في استعراض الأحداث التي وقعت في الأجزاء الشرقية من الدولة العربية الإسلامية حيث ركز على الوقائع ذات التأثير الشامل والعميق.

وكذلك لم يهتم كثيراً بأخبار فتوحات العرب المسلمين في بلاد المغرب والاندلس التي تمت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، اذ لم يذكر منها سوى شيء يسير على عكس بعض المؤرخين العرب والمسلمين الذين اهتموا بأخبار المغرب

والمشرق كابن الأثير مثلاً، ربما يرجع ذلك الى ان مصادره التي اعتمدها في التأليف والكتابة التاريخية كانت تركز على أحداث العراق وبلاد المشرق، اكثر من تركيزها على بلاد المغرب والأندلس.

ولا يفوتنا في هذا المقام الا ان نذكر ان منهج الدينوري قائم على الأيجاز والاختصار وعدم الأطالة ، والتركيز على الاحداث المهمة التي شهدتها بلاد العراق والمشرق في ظل الامبراطورية الفارسية وما بعدها.

وعليه فأن الدينوري لم يهتم كثيراً بذكر أخبار حضارة العرب، والاعريق، والهنود، والصين شأنه بذلك شأن الطبري في كتابه ( تاريخ الرسل والملوك).

إن منهجه في عدم الإطالة قد جعله لايتابع الكثير من الاحداث ، وهذا مما ادى الى الأخلال بمضمونها دون أن يؤثر ذلك على السياق العام للنصوص المروية ويتضح ذلك من خلال العبارات التي كان يستخدمها في التعقيب على بعض حوادثه التاريخية مثال ذلك عندما تناول قصة ابراهيم ( عليه السلام ) قال: ((فكان من امر مولد ابراهيم ماقد جاءت به الآثار))، وعند حديثه عن الصراع بين الاسكندر المقدوني وملكة المغرب قنذاقه قال: ((فكانت له ولها قصص وأنباء))، ولما تعرض للملوك اليمن ذكر ان اسعد بن عمرو بن ربيعة الذي ملك بعد النبي سليمان ( عليه السلام ) قد عزم السير لغزو قهامة والحجاز ثم قال: (( فكان من قصته ماهو مشهور))، وعند ذكره قصة جرجيس وبعثته الى ملك الموصل قال: ((وكان من أمره وأمر ذلك الملك ماقد أتت به الأخبار))، وعندما استذكر ولاية المغيرة بن شعبة على البصرة قال:

((كان من أمر المغيرة والنفر الذي رموه ماكان))، ولما ذكر قدوم المسلمين بالقائد الفارسي الهرمزان الى عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) قال: ((فكان من خبره ماهو مشهور))، ولما روي حادثة مقتل بابك الخرمي قال: ((فكان من قتل المعتصم لبابك وقطع يديه ورجليه وصلبه ماهو مشهور))<sup>(28)</sup>.

ومن الامثلة على ذلك ايضاً اهماله بعض الوثائق الرسمية المرسلة من قبل الملوك والخلفاء الى الولاة والعمال، أو المبعوثه اليهم، ويكتفي بالقول: ((أمر بتفريق الكتب بذلك في شرق الأرض وغربها))، ((فمضت رسله بكتبه بذلك الى ملوك الارض))، ((فكتب بذلك الى الأمصار))، ((وكتب له بذلك كتاباً))، ((فكتبوا اليه بذلك))، (( وكتب اليه بالنبا))<sup>(29)</sup>.

و لم يول اهمية للأسباب والنتائج والتفصيلات، المتعلقة ببعض حروب الفتح والحركات الداخلية، نحو قوله: ((كان فتح أفريقية سنة تسع وعشرين وأميرها عبد الله ابن أبي سرح)). وقوله: ((سار عبد الله بن عامر الى كرمان وسجستان فافتتحهما))، وقوله: ((سار قحطبة من طوس الى جرجان فافتتحها، وسار منها الى الري، فواقع عامل مروان عليها فهزمه، ثم سار من الري الى أصبهان حتى وافاها، وبها عامر بن ضبارة، من قبل يزيد بن عمر، فهرب منه، ودخلها قحطبة وأستولى عليها))، وقوله: (( فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج الرشيد غازياً لأرض الروم حتى أوغل فيها وانتهى الى هرقلة فافتتحها))<sup>(30)</sup>.

وربما يعود ذلك الى كثرة ماكتب من تفصيلات في المصادر القديمة مما دعاه الى اختصارها لئلا يؤدي ذلك الى الملل والضجر ، فضلاً عن أنسياقه مع منهجه في الاختصار.

الا ان الدينوري تجاهل أساليب البحث التاريخي القائم على ((الاستقراء والاستنتاج))<sup>(31)</sup> وانفرد في سرد حوادثه التاريخية بأسلوب روائي قصصي والتزم الصمت حيال بعض الروايات الغريبة البعيدة عن الواقع والتي لا تتفق مع الحقائق التاريخية بما فيها الشبهات والظنون، إلا أنه من جانب آخر كان يقف موقف الناقد المتمكن في رفضه للعديد من الروايات البعيدة عن التصديق فضلاً عن ابتعاده عن ذكر كل حادثة غير معقولة التي ذكرت في تواريخ من سبقوه من المؤرخين مستعيناً على ذلك بادراكه العقلي، وقدرته العلمية، وحسه التاريخي ويتضح ذلك من خلال بعض النصوص المقتبسة التي يشك في صحتها، فيردفها بلفظة نقدية، نحو قوله: ((زعموا))، ((فزعموا))، ((فيمازعموا))، ((يزعم))، ((يزعمون))، ((فيزعمون))،

((فيمايزعمون))، ((زعم))، ((تزعم))<sup>(32)</sup>. دليلاً على عدم قناعتهم بصحتها وتشككهم فيها نظراً لما يكتنفها من الغموض والتعقيد، إلا أنه لم يسند ذلك بالأدلة والبراهين العلمية ليؤيد رفضه لها، كما أنه يتجاهل بعض الاحيان المصادر التي اعتمد عليها في اقتباس بعض رواياته، وإن كان أشار إلى أسماء بعض من أخذ عنهم كعبيد بن شربة الجرهمي صاحب (كتاب الملوك و اخبار الماضيين)، كما نقل عن الكلبي و عن الاصمعي و عن الشعبي، و أكثر من صرح بالنقل عنه الهيثم بن عدي فقد صرح باسمه في عشرة مواضع.

ومن خلال عرضنا لفصول الكتاب ، تبين لنا منهجه في إبراز الحقيقة والابتعاد عن الأخبار الغريبة التي يرفضها الواقع وينكرها العقل من خلال استبعاده لها أو بيان ضعفها ووهنها.

فقد تناول بالنقد الرواية التي تدعي أن وادي الرمل في أرض المغرب يجري الرمل فيه ((كما يجري الماء))، واستبعد النص الذي يشير إلى أن بنات أوى هم على هيئة السباع وأنهم قد انحدروا إلى أرض العراق من بلاط الترك ((في آخر ملك أنو شروان))<sup>(33)</sup>.

و تناول بالنقد سلوك العديد من الملوك والحكام والولاة والاشخاص والشعوب والأمم ، نحو قوله: ((لما كثرت عاد باليمن تجبروا وعتوا)) ، وقوله: (( فلما أفضى الملك إلى دارا بن دارا تجبر ، واستكبر ، وطغى)) ، وقوله: (( كان الاسكندر جباراً معجباً وقد كان عتي في بدء أمره عتواً شديداً)) ، وبخصوص ( ابضعة ) إحدى ملكات كنده التي يقال لها ( العنقير ) قال:

((ملكيت بعد إخوتها بأخبت سيرة كانت تتخير الرجل على عينها ، فمن أعجبها دعت إلى نفسها فوقع بها)).  
وان يزدجرد بن سابور الملقب ( بالاتييم ) كان (( سيئ الخلق ، لا يكافئ على حسن بلاء، وكان مناناً ، لا يتجاوز عن زلة وإن صغرت ، ويعاقب على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ، وما كان أحد يقدر على كلامه لفظاظته وغلظته)) ، أما يكسوم بن ابرهة الذي استخلف أباه في ملك أرض اليمن ((فكان شراً من أبيه وأخبت سيرة)) ، وكذلك أخوه مسروق الذي ملك من بعده فكان ((شراً من أخيه وأخبت سيرة)) ، وعلق على رفض الخوارج وعدم امتثالهم لطاعة الخليفة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) بقوله: ((وأبي القوم إلا التماذي في الغي)) ، ووصف المختار بن أبي عبيد الثقفي بأنه كان ((يزعم أنه يوالي بني هاشم وإنما هو طالب الدنيا))<sup>(34)</sup>.

ولقد سعى الدينوري إلى الابتعاد عن مجرى التيار الذي انجرف فيه بعض المؤرخين السالفين في تدوينهم لبعض الأساطير والخرافات مما أدى إلى تشويه الحقائق التاريخية وغموضها ، إلا أنه لم يستطيع أن يحرر تاريخه تماماً من بعض الروايات ذات الطابع الاسطوري اللاعقلاني ، والأمثلة على ذلك كثيرة: فقد ذكر لنا رواية زعمت أن ( الضحاك بن علوان ) الذي شيد مدينة بابل قد نبتت على كتفيه حيتان، فكان يطعمهما أدمغة الرجال عندما يؤذيان حتى تسكتا.

وأن ملك منوشهر قد أتى له في الحكم ((مئة سنة وعشرون سنة)) كما أورد نصاً مفاده أن هناك أمة من ولد نوح ( عليه السلام ) كانت (( أعينهم وأفواههم في صدورهم)) وأمة أخرى للشخص منها ((نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة)) وإن ملك اليمن المهدهاد بن شراحبيل قد ((تزوج ابنة ملك الجن بأرض اليمن فولدت له بلقيس)) وإن النبي سليمان (عليه السلام ) كان مسرفاً في طعامه وأنه كان ((يذبح في مطابخه كل غداة ستة آلاف ثور ، وعشرون الف شاة)) وكانت هناك أمة من الناس حمر ألوانهم، صهب شعورهم، رجالهم معتزلون عن نسائهم، ولا يجتمعون إلا في ثلاثة أيام من السنة ومن أراد منهم التزويج فأنما يكون في تلك الأيام الثلاث، وإن ولدت المرأة ذكراً دفعته إلى أبيه في تلك الأيام الثلاثة وإن كانت أنثى احتفظت بها، وإن جذيمة بن عمرو الذي خلف أباه على ملك اليمن قد زوج أخته من ابن عمه عدي بن ربيعة ((فولدت له عمرو بن عدي الذي استطار به الجن)) ، وكان لذي نواس في أرض اليمن نار يعبدها هو

وقومه، وكان يخرج منها عنق يمتد عدة امتار في السماء ثم ترجع الى مكانه ،والمملك كسرى أبرويز ((كانت له ثلاثة الآف امرأة لفراشه))<sup>(35)</sup>.

والالاف للنظر أن الدينوري لم يحاول الالتفات الى هذه الروايات ويقف عليها، وكان يذكرها دون أن يعقب عليها، في حين انتقد البيهقي، الروايات نفسها مشيراً الى ذلك بقوله:

((فارس تدعي للموكها اموراً كثيرة مما لايقبل مثلها من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس ويكون على كتفي آخر حيتان تطعم أدمغة الرجال، وطول المدة من العمر، ودفع الموت عن الناس، وأشبه ذلك مما يدفعه العقول ، ويجري فيه مجرى اللغات والهزل ومما لاحقيقة له))<sup>(36)</sup>.

ولاشك ان الدينوري قد اعتمد على الكثير من المصادر المدونة والروايات الشفوية التي تناقلها الرواة، فوجد أمامه مجموعة من الروايات المتضاربة حول حادثة تاريخية معينة، فكان لابد والحالة هذه من استيعابها واخضاعها لعدة مقاييس ومعايير في امكانية تصديقها أو تكذيبها ولم يكن ذلك مستبعداً، فقد برزت شخصيته التاريخية من خلال موازنته للعديد من النصوص، والتفاضل فيما بينها وترجيح مايراه صحيحاً ، واستبعاد القبيح منها وذلك من خلال ماتضمنه كتابه من عبارات الترجيح مثل: ((قيل)) ، ((يقال)) ، ((فيقال)) ، ((فيما يقال)) في تعقيبه على عدد من الروايات ، ما يدل على تشكيكه بها وعدم قناعتة او تردده في قبولها واستبعاده لها ، وأنه في هذه الحالة يميل الى واحدة من هذه الروايات ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: أنه عندما عرض للملك الفرس، رفض روايات الأعاجم التي تتحدث عن مقتل ( اسفندياد ) ورجح الرواية التي تشير الى أن رستم هو الذي قتل اسفندياد وعندما تطرق الى معركة صفين، ذكر مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقال: ((وقد اختلفوا في مقتله ، فقالت همدان ، قتله هانئ بن الخطاب ، وقالت حضرموت : قتله مالك بن عمرو الحضرمي، وقالت ربيعة : حريث بن جابر الحنفي)) ثم يعقب على ذلك من خلال ترجيحه للرواية الأخيرة مشيراً بقوله: (( وهو المجمع عليه))<sup>(37)</sup>.

وحيثما تحدث عن نسب بابك الخرمي قال: ((وقد اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم))<sup>(38)</sup>.

تجدر الإشارة هنا الى غياب عنصر التعليل عند قيام المؤرخ بترجيح الرواية أو رفضها، فضلاً عن افتقارها الى الأدلة التاريخية التي تؤيد صحة النصوص المرجحة ، إلا أننا نجد في بعض الأحيان يقف موقفاً محايداً دون أن يدلي برأيه حيال عدة روايات يوردها حول حادثة معينة ، ويكتفي بالقول: ((كل ذلك يقال)).

لم يتردد الدينوري في الإدلاء برأيه في كثير من الحوادث التاريخية وفق ماتقتضيه الضرورة، وضمن السياق العام للنص التاريخي مما يبرز شخصيته ويظهر قدرته على التفاعل مع الأحداث .

الا ان هذه الاحكام و التعليلات لم تتميز عن النصوص المقتبسة بعبارات دالة عليها، كما أنه لم يشر الى مصادرها ، والامثلة على ذلك كثيرة نحو قوله : إن اسفندياد ((كان أشد أهل عصره)) ، وأن هرمزد جرابزين ((كان من ادهي العجم ، وأشدهم خلافة))، وأن موسيل الأرمني (( كان من عظماء المرازبة )) ،وان طلحة بن خويلد الأسدي ((كان من فرسان العرب))، وأن النعمان بن مقرن ((كان من خيار أصحاب رسول الله(صلى الله عليه و اله و سلم ))، وأن عمرو بن الحمق (( كان من عباد أهل الكوفة))، وأن ثمر بن الريان العجلي (( كان من فرسان ربيعة))، ووصف جندب بن زهير بأنه (( كان من عظماء أهل الشام وفرسانهم )) ، وعد مروان بن محمد (( شيخ بني أمية وكبيرهم))، اما جرير بن يزيد فقد((كانت له خلافة، وتأت في الأمور، ومكيدة))<sup>(39)</sup>.

من جهة أخرى نجده متفرداً في أحكامه على نحو يدل على ثقافته الواسعة واستيعابه لمجريات الحوادث التاريخية ، نحو قوله : أن النبي سليمان (عليه السلام ) (( بنى بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها)) ، وأشار الى أن ياسر ينعم قد بلغ في غزوته لبلاد المغرب ما (( لم يبلغه ملك قبله)) ، وذكر إن ابرهة الحبشي (( بنى بصنعاء بيعاً لم ير الناس مثلها)) ، وقال معلقاً على غنائم المسلمين في حروهم ضد الفرس مانصه : (( أصاب المسلمون يوم جولاء غنيمة لم يغنموا مثلها قط)) ، وقيم جهود أبي مسلم الخراساني في دعوته للعباسيين بقوله : ((وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله)) ، وعلق على الفتوحات التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية في عهد خلافة المعتصم بالله العباسي قائلاً : ((وكانت في خلافته فتوحات لم تكن لأحد من الخلفاء الذين مضوا مثلها قبله)) ، و أن سعد بن أبي وقاص كره المقام في الأنبار (( لكثرة الذباب فيها)) ، وأوضح سبب نزول الفرس الأعاجم عقب وقعة (نموند) بقرية (دزيريد) قائلاً : (( لأن حصن نموند لا يسعهم)) ، وارجع سبب تباطؤ الجند عن القتال في موقعة صفين الى (( مخافة الاستئصال)) ، وعلل تسمية الخوارج بالأزارقة بقوله : (( إنما سمو إزارقة برئيسهم نافع بن الأزرق)) ، كما علل تسمية قيس بن الأشعث بقطيفة بقوله : (( وذلك أن قيس ابن الأشعث أخذ قطيفة كانت للحسين بن علي بن ابي طالب حين قتل)) ، وعلل قيام العصبية بين المضرية واليمانية بخراسان بقوله : ((سبب ذلك ان نصر بن سيار كان متعصباً على اليمانية مبغضاً لهم فكان لا يستعين باحد منهم)) ، وعلل تفضيل ولاية الامويين فروض الشام على فروض العراق بقوله : ((لأن عرب العراق ليس لهم نصيحة للخلفاء من بني أمية ، وفي قلوبهم إحن))<sup>(40)</sup> .

وفسر بعض الحوادث تفسيراً دينياً، فعند استعراضه تأريخ الأنبياء والرسل قال (( وأعقم الله جميع من نحى مع نوح الابن الثلاثة)) ، وفصل القول في أخبار بني اسرائيل وذكر معصيتهم لأنبياء الله ثم قال : (( فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك الطوائف من ولد بخت نصر الأول فقتل بني اسرائيل وضربت عليهم الذلة والمسكنة)) ، وأشار الى انتصار المسلمين في معركة جلولاء بقوله : (( لم يكن للمسلمين فيه صلاة الا الايماء والتكبير، حتى إذا اصفرت الشمس أنزل الله على المسلمين نصره، وهزم عدوهم واغنمهم الله عسكرهم بما فيه))<sup>(41)</sup> .

ان منهج الدينوري اتسم بالموضوعية في ترتيب الأحداث التاريخية التي تشمل عهود الرسل والملوك والحكام والأمم والشعوب<sup>(42)</sup> ، وقد راعى التسلسل الزمني في ترتيب هذه الموضوعات، ولم يكن له تقسيم حولي دقيق<sup>(43)</sup> ، لذا حرص على ذكر الحادثة الواحدة على امتداد الوقت الذي استغرقت، دون ان يمزق أشلائها، فأنت أخباره متسلسلة متناسقة يأخذ بعضها برقاب بعض ، تبرز فيها القيمة الخيرية للحادثة ويستسيغها القارئ بيسر وسهولة.

لا بد من التنويه الى أن عدداً كبيراً من المؤرخين قد سلكوا هذا المسلك في مدوناتهم التاريخية ، ومن هؤلاء اليعقوبي في تأريخه، وابن قتيبة في مصنفه ( المعارف ) ، والمسعودي في كتابه (مروج الذهب) وسار الطبري على المنهج نفسه في القسم الاول من تاريخه الذي خصصه للأحداث التاريخية منذ الخليقة حتى فترة الرسالة، حيث كان يتحدث عن الموضوع الواحد حديثاً مفصلاً من البداية الى النهاية، وعليه يمكن القول ان الدينوري كان من رواد هذا المنهج الذي سار عليه بعض من اعقبه من المؤرخين.

تجدر الإشارة الى ان الدينوري لم يوازن في مادته العلمية بين القسم الاسلامي ، والقسم الذي سبقه ويشمل ذلك أيضاً ما في أحداث التاريخ العربي ، وتاريخ غير العرب .

ولم يتناول الفتوحات العربية الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس ، وهو بذلك يخالف ابن الأثير الذي اهتم بأخبار بلاد المشرق والمغرب في كتابه ( الكامل في التاريخ ) ، والحال نفسه عند ابن خلدون في (كتاب العبر).

ولم يفصل الدينوري كثيراً في اخبار دولة الروم ، ولم يذكر سوى ملوكها الأربعة ، وجوانب من الحياة السياسية عندهم<sup>(44)</sup> ، شانه شأن الطبري في تاريخه الذي أغفل هو الآخر تاريخ دولة الروم، وابن الجوزي في منتظمه، خلافاً لليعقوبي في تأريخه المسمى باسمه، والمسعودي في كتابه ( مروج الذهب) اللذين اهتمتا بتأريخ الرومان.

وعليه يظهر أن الاختصار والتفصيل أو الإيجاز والاسهاب عند المؤرخين في عرض الحوادث لا يتوقف على مادة المصادر المتداولة في أيديهم أو على الروايات الشفهية التي تناقلها الرواة ، بقدر ما يتعلق ذلك بالمؤرخ نفسه تبعاً لأهمية الحدث في مرحلة تاريخية معينة ، أو ملائمة لمتطلبات العصر وفق هواه وتصوره الشخصي ويبدو أن الدينوري اتبع منهجاً جديداً في كتابة التاريخ ، أعني منهج الكتابة المرسلة التي تتميز بخلوها من الأسناد إذ سرعان ما (( أصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة يعتمد في كتابته التاريخية - الى جانب الذاكرة والحفظ - على الكتب التاريخية التي سبقه المؤرخون في كتابتها))<sup>(45)</sup>.

وبذلك استطاع أن يتحرر من الطريقة التاريخية الموروثة التي كانت تلزم المؤرخ أن يكون مجرد اخباري تقتصر مهمته على استيعاب الأحداث التاريخية وتتابع سلسلة الرواة للتأكد من صدقها وارتباطها بالحدث، الى التحري عن الحدث نفسه من حيث مناقشته وإيجاد علله ومسبباته.

ومن مميزات منهجه الاستشهاد بالآيات القرآنية ، التي وردت في أربعة عشر موضعاً من كتابه لتعزيز وتوثيق مروياته<sup>(46)</sup>.

اما الحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة ( رضي الله عنهم ) فلم يرد ذكرهما عنده الا في اربعة مواضع، حيث ذكر:

(( إن الزبير لما علم أن عماراً بن ياسر رضي الله عنه مع علي (كرم الله وجهه) أرتاب بما كان فيه، لقول رسول الله (صلى الله عليه واله و سلم) : الحق مع عمار وتقتلك الفئة الباغية))<sup>(47)</sup>.

وهكذا يلحظ ان قلة استشهاد الدينوري بالاحاديث النبوية الشريفة يعود الى كونه مؤرخاً وليس محدثاً أو فقيهاً ، ويؤيد هذا تساهله مع سلسلة الأسناد وإيراد الاخبار غير المسندة الى أصحابها، وربما أنسحب ذلك على قلة إيراد سيرة الرسول (صلى الله عليه واله و سلم) ومغازيه، لما لذلك من علاقة مع الأساليب التي يتبعها المحدثون الذين حرصوا على تتبع صدق الرواية والتشديد في سلسلة الأسناد للحصول على اصدق الأخبار وأثبتها ، وأن قيمة الرواية وفق منهجهم يتوقف على قوة أسانيدها، فكلما كانت سلسلة الأسناد متصلة دون انقطاع بعهد رسول الله (صلى الله عليه واله و سلم) كانت تلك الأحاديث مدعاة للصدق.

### قائمة المصادر و المراجع:

1. انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1950، ج1، ص 76.
2. بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2. القاهرة، 1978، ص 306.
3. كحالة عمر رضا: التاريخ و الجغرافية في العصور الوسطى، دمشق، 1972، ص. 12 روزنتال: ف. علم التاريخ عند المسلمين، تعريب صالح احمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، 1963 ص.. 167.
4. الدينوري: احمد بن داود، الاخبار الطوال ، تحقيق عمر فاروق ، بيروت ، 1995 ص 73 - 75.
5. نفس المصدر، ص 179، 178.
6. علم التاريخ عند المسلمين، ص 168.
7. الدينوري: المصدر السابق ص، 143، 178، 199، 215، 101، 103، 254، 255.

8. نفس المصدر. ص 70، 64، 58، 55، 50، 47، 34، 28، 112، 121، 136، 142، 146، 183، 187، 193، 224، 240، 247، 257، 672، 281، 282، 288، 367، 370.
9. نفسه، ص 79، 233.
10. مرغوليوت : د.س، دراسات عن المؤرخين العرب ، تعريب حسين نصار، بيروت، 1929 ص 127، شاكرك مصطفى: التاريخ العربي و المؤرخون، دار العلم للملايين بيروت 1978، ج1، ص 249.
11. الدينوري : المصدر السابق، ص 325.
- \* الخط المسند: وهو يختلف عن الحروف العربية و اقرب صلة بالحروف الاثيوبية ، جواد علي : الفصل، ج8 ص202 .
12. جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الفكر، بيروت بدون ت ، ج 6، ص5 وما بعدها.
13. سورة الكهف، الاية 93. انظر: الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت 1978، ج16، ص 8
- 14، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصر بدون تاريخ ج3، 103- 106.
14. الاخبار الطوال ص 39.
15. الطبري: ابو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الرسل و الملوك، القاهرة، 1979، ج 1 ص578، المسعودي: ابو الحسن، علي بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجوهر، بيروت، 1988، ج1 ص272 .
16. الدينوري: المصدر السابق، ص10.
17. اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صالح بحر العلوم، النجف الاشرف، 1964، ج 1، ص 13. الطبري، تاريخ، ج1، ص43، ابن خلدون العبر و ديوان المبتدا و الخير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979، ج2، ص68.
- \* و هي من الحروب المشهورة في الجاهلية، دارت رحاها بين اليمن بزعامة سلمة بن الحارث بن عمرو الكندي، وبين ولد معد و على راسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة ، استجار اليمن ببعض الملوك عندما اذهلتهم كثرة القوم، فالتقوا بخزاز، و فضت فيها جموع اليمن. اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص، 196، ابن الاثير: ابو الحسن علي، الكامل في التاريخ، بيروت، 1978، ج3، ص 107 البجاوي محمد و اخرون، ايام العرب في الجاهلية، بيروت، 1961 ص109.
18. جب.ه.ا.ر: دراسات في حضارة الاسلام، تعريب احسان عباس و اخرون، دار العلم للملايين، بيروت، 1964 ص 145.
19. الدينوري، المصدر السابق، 51.
20. الملاح: هاشم يحيى و اخرون: دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب ، (الموصل، 1988) ص 45 ، عبد المنعم عامر (ا): مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي، مطبعة مخيمر (القاهرة، 1953) ص 32.
21. شاكرك مصطفى : التاريخ العربي و المؤرخون ج 2 ص 54 جب: علم التاريخ، تعريب ابراهيم خورشيد و اخرون، القاهرة، 1970 ص49.
22. الدينوري: الاخبار الطوال ص 7-8.
23. ابن كثير: عماد الدين، البداية و النهاية، مطبعة السعادة، مصر بدون تاريخ ج 1 ص 5.
24. الدينوري: المصدر السابق، ص100، 61، 38، 37، 17، 13، 11.
25. نفس المصدر، ص72.
26. دراسات في حضارة الاسلام، ص147.
24. الدينوري، المصدر السابق، ص107.
27. نفس المصدر، ص. 370، 125، 113، 44، 41، 13.
28. نفسه، ص. 223، 212، 129، 127، 49، 33.
29. نفسه، ص. 358، 334، 132، 131.
30. فياض: عبد الله، التاريخ فكرة و منهجا. بغداد 1972، ص32، عبد الواحد ذنون طه: اصول البحث التاريخي، الموصل، 1990، ص45.
31. الدينوري: المصدر السابق: ص351، 338، 203، 100، 72، 47، 45، 43، 31، 27.
32. نفس المصدر: ص. 72، 26.
33. نفسه: ص. 274، 192، 62، 50، 40، 32، 31، 9.
34. نفسه: ص. 129، 60، 53، 38، 25، 23، 17، 15، 10.

33. اليقوي: تاريخ، ج. 1، ص. 137.
35. الدينوري: المصدر السابق، ص. 166.
36. نفس المصدر، ص. 367.
37. نفسه، ص. 28، 77، 86، 114، 128، 141، 142، 166، 322، 347.
38. نفسه، ص. 25، 26، 30، 61، 122، 315، 367.
39. نفسه، ص. 118، 129، 159، 247، 276، 323، 330.
41. نفسه، ص. 8، 42، 122.
42. سالم، عبد العزيز: التاريخ و المؤرخون العرب، ص 91، سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي و مناهج البحث فيه، ص. 34.
43. شاكر مصطفى، مرجع سابق، ج 1، ص 249، الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص 54، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين ص. 126.
44. الدينوري: المصدر السابق، ص. 31، 49، 148.
45. سالم، عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 75.
46. الدينوري: ص. 22، 37، 181، 187، 188، 189، 191، 192، 227، 243، 253، 255، 305، 344، 370.
47. المصدر نفسه، ص 139 ينظر البخاري: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت 1987، ج 1، ص 172، القشيري: مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ج 4، رقم الحديث 2236 .